



4 ديسمبر 2014

(1) لله، لا ليعباد:

يتألم كثير من الإخوان والأخوات لما رأوا من إنكار كثير من الناس للمعروف الذي صنعوه إلتهم على مدى عقود، واصطفا فهم مع الانقلابيين والظالمين، وقيام بعضهم بالوشاية بالإخوان لدى أئمن الانقلاب الظالم، وترد أحيانا على خاطر البعض -تحت وطأة الشدة- أن القوم لا يستحقون بدل المعروف، ولا ينبغي الاستمرار في حُسن الصنيع إلى من لا يحفظ الجميل، لكي الإخوان والأخوات ما أسترع ما يتذكرون أنهم يعاملون الله تعالى بإخسانهم، وأن المعروف يقع في يد الله قبل أن تمتد لأخذه أيدي العباد، فيستغفرون الله من هذا الخاطر، ويجددون العزم على التقرب إلى الله بصناعة المعروف وخدمة الأمة، مُحْتَسِبِينَ عند الله ما يلقون من إساءة وكران، وإيقين أن ما عند الله لا يصعب.

(2) صاحب صنائع المعروف لا يُخزيه الله أبدا:

من سنن الله الماصية: مكافأة صانعي المعروف وقاعلي الخير إلى الخلق بأفضل مما صنعوا «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»، فمن كثفت كربة إنسان كسفت الله كرتة في الدنيا والآخرة، ومن بسر على عباد الله بسر الله عليه، ومن أعان الخلق وكان في حاجتهم وجد الله في معونته عند حاجته. وبهذا تركت آيات الكتاب، وجاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وشهدت وقائع التاريخ.

أخرج السبخان أن حديجة رضي الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع إلى بيته قرعا وترمل في ثيابه؛ متحوقا مما رأى: «كلا والله ما بخربك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمي الكلى، وتكسب المغدوم، وتفري الضيف، وتعين على توابي الحق». وأرادت حديجة رضي الله عنها أن من يفعل الخير لا يجازى عليه بالشر، بل يحفظه الله من السوء، وهذا ما يطمئن دعاة الشرعيه وأنصار الحق الذين ما قينوا يقدّمون صنائع المعروف لأمتهم وليسعيهم على مدار تاريخهم، ولا يترألون، ولن يخزيهم الله ولن يصعب أجرهم.

وهذا ما جرى لموسى عليه السلام حين صنع المعروف وسقى لبقائين، فما أسترع ما كافاه الله بالأمن بعد الخوف، وقال له الرجل الصالح «لا تحف تجوت من القوم الظالمين».

وتلك هي سنن الله تعالى في المجازاة، وإحسان الله أتم وأعظم، وقد بسر النبي صلى الله عليه وسلم أهل صنائع المعروف بذلك، فقال فيما أخرج السبخان: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرح عن مسلم كرتة، فرح الله عنه كرتة من كرات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».

وقال فيما أخرج مسلم: «من تفس عن مؤمن كرتة من كرت الدنيا، تفس الله عنه كرتة من كرت يوم القيامة، ومن بسر على معسر، بسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». قال فيما أخرج ابن أبي الدنيا: «من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كرتة فليفرج عن معسر».

(3) صنائع المعروف تقي مصارع السوء:

ومن أوضح الوقائع الدالة على أثر صنائع المعروف في حصول الفرج من الشدة قصه أصحاب الغار الثلاثة الذين توسلوا بصلاح أعمالهم ففرج الله عنهم، وهي صفة معروفة مشهورة تؤكد أن فعل المعروف دُخْرُ ثورث صاحبه النجاة من المخوقات، ويُعطيه الإغائة عند الشدائد والمليئات، وتقيه مصارع السوء والأقوات والهلكات.

قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرج الطبراني: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصله الرجم تزيد في العمر»

فَمَا أُخْرِجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: «عَلَيْكُمْ بِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهُ يَبْقَى مَصَارِعَ الشُّوءِ وَعَلَيْكُمْ بِصَدَقَةِ السُّرِّ فَإِنَّهَا تُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

فِي مَا أُخْرِجَ الْحَاكِمُ: «الْمَعْرُوفُ إِلَى النَّاسِ يَبْقَى صَاحِبَتَهَا مَصَارِعَ الشُّوءِ، وَالْأَقَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ».

وَهَذِهِ الْأَخَابِيثُ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَطْمِئِنُّ مَعَهَا الْعَبْدُ الَّذِي يُعَامِلُ رَبَّهُ بِتَقْدِيمِ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ إِلَى خَلْقِهِ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنْ يُصِيعَ عَمَلَهُ، وَسِتْرِي أَتْرَهُ فِي السُّدَّةِ وَهُوَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ، فِي سِدَّةِ الدُّنْيَا بِتَبْيِينِهِ وَإِنْجَانِهِ، وَفِي سِدَّةِ الْآخِرَةِ بِإِدْخَالِهِ الْجَنَّةِ بِفَضْلِ اللَّهِ.

(4) صَتَائِعُ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَطْلُومِ أُخْرَى يَنْصُرُ اللَّهُ: تُمْ إِنَّ مَا يَفْعَلُهُ الْإِنْفِلَائِيُّونَ ظَلْمٌ أَيْ ظَلَمٌ، وَذَلِكَ أُخْرَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنِ الْمَطْلُومِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ الْمَطْلُومُ صَاحِبَ سَوَابِقٍ فِي الْخَيْرِ وَصَتَائِعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ!.

أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، قَالَ: «كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الرَّجُلَ الْمَطْلُومَ إِذَا تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ دَفَعَهُ عَنْهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ عَنِ الرَّجُلِ الْمَطْلُومِ».

(5) صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ لَا يَفْعَلُ، فَاسْتَبْشِرُوا خَيْرًا: خَرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: كَانَ الْخَطِيئَةُ وَكَعَبْتُ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَنْشَدَ الْخَطِيئَةَ:

نَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يُعَدِّمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

قَالَ كَعَبٌ: «هِيَ وَاللَّهِ فِي التَّوَرَاةِ، لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْفِهِ».

وَفِي الْحِكْمَةِ: «صَاحِبُ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ لَا يَفْعَلُ، فَإِذَا وَقَعَ أَصَابَ مُتَّكَأً؛ إِذُ الْبَلَاءُ لَا يَتَخَطَّى الصَّدَقَةَ؛ فَهِيَ تَدْفَعُ الْمَصَائِبَ وَالْكَرُوبَ وَالسَّدَائِدَ الْمَخُوفَةَ، وَتَرْفَعُ التَّلَايَا وَالْآقَاتِ وَالْأَمْرَاصَ الْحَالَةَ».

نَنْ بَرَزَ الْخَيْرَ يَحْضُدُ مَا يُسْتُرُّ بِهِ وَرَارُغُ السُّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّأْسِ

فَاسْتَبْشِرُوا خَيْرًا أَيُّهَا الْأَخْرَازُ، فَمَا قَدَّمْتُمْ وَمَا تَقَدَّمُونَ لِأُمَّتِكُمْ وَوَطَنِكُمْ مِنْ أَسْتَبَابِ الْخَيْرِ، مِنَ الْمَدَارِسِ وَالْمُسْتَشْفِيَّاتِ وَالْمَصَانِعِ وَكَقَالِهِ دَوِي الْخَاجَاتِ وَتَبْسِيرِ مَعَايِشِ النَّاسِ وَتَوْفِيرِ الْخِدْمَاتِ الْعِلَاجِيَّةِ وَالْعِدَائِيَّةِ لِغُفُومِ الْأُمَّةِ، وَعَبْرَ ذَلِكَ مِنْ صَتَائِعِ الْمَعْرُوفِ لَنْ تَنْسَاهَا الْأُمَّةُ لَكُمْ:

نَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ يَلْقَى الْخَيْرَ مُدَّخِرًا وَالْعُرْفُ لَا يَنْتَهِي بِالنَّاسِ كُفْرَاتَا

وَإِنْ تَسْبِيهَا أَوْ تَعَاوَلَ عَنْهَا بَعْضُ النَّاسِ فَهِيَ مَحْفُوطَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ مَا قَدَّمْتُمْ مُخْلِصِينَ سَبَبًا مُعِينًا لَكُمْ فِي بِيَدَيْكُمْ وَمُقَوِّبًا لَكُمْ فِي جِهَادِكُمْ، وَمُخْرِجًا لَكُمْ مِنَ السَّدَائِدِ الَّتِي ابْتَلَيْتُمْ بِهَا فِي طِلِّ هَذَا الْإِنْفِلَابِ السَّاقِطِ عَنْ قَرِيبٍ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَسَتَرُونَ أَتْرَهَا تَصْرًا عَلَى الطَّلْمِ وَالطَّالِمِينَ، وَعَزًّا وَتَمَكِينًا لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الْخَيْرُ أَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالسُّرُّ أَحْتَبْتُ مَا أَوْعَيْتُ مِنْ رَادٍ

وَلَتَعْلَمَنَّ تَبَاهُ بَعْدَ جِينِ.